الأنفاس القدسية في أسرار الزيارة الرضوية

المقدّمة[1]
السرّ الأوّل- مزار الإمام (عليه السلام) روضة من رياض الجنّة
السرّ الثاني معرفة الإمام (عليه السلام) جوهر الزيارة
السرّ الثالث - زيارة الإمام (عليه السلام) من زيارة الرسول (صلى الله عليه وآله)
السرّ الرابع - خواصّ الشيعة زوّار الإمام (عليه السلام)
السرّ الخامس - درك الرحمة الإلهيّة
السرّ السادس - الشفاعة
السرّ السابع - غفران الذنوب ما تقدّم منها وما تأخّر
السرّ الثامن - زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) أفضل من الحجّ بأضعاف مضاعفة
السرّ التاسع - نيل درجة الشهادة بالزيارة
السرّ العاشر - استجابة الدعاء
السرّ الحادي عشر - الخلاص من أهوال يوم القيامة
السرّ الثاني عشر - تحريم الجسد على النار ودخول الجنّة
السرّ الثالث عشر - الحشر مع الإمام (عليه السلام)
السرّ الرابع عشر - زوّار الإمام الرضا (عليه السلام) وفود الله وضيوفه
السرّ الخامس عشر - زيارة الله في عرشه
الخاتمة - من أهمّ آثار زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) الواردة في الأخبار

الأنفاس القدسية في أسرار الزيارة الرضوية

السيد عادل العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة[1]

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيّد الأنبياء والمرسلين محمّد وعلى آله الأئمة الهداة الميامين.

من المفاهيم الإسلامية التي تستوجب الدقّة وتسليط الضوء عليها أكثر من ذي قبل مسألة زيارة الرسول الأكرم سيّد المرسلين وخاتم النبيين محمّد (صلى الله عليه وآله) وزيارة أهل بيته الأطهار الأئمة الأبرار (عليهم السلام) ، وأولادهم الكرام وزيارة وريثهم من العلماء الأخيار ، وغيرهم من الصالحين والصالحات.

فإذا رجعنا إلى النصوص النبوية والأحاديث الشريفة الصادرة عن آل محمّد (عليهم السلام) في ثواب زيارتهم وعلوّ الدرجات وسموّ المقام لزائريهم ، لرأينا الشيء العجيب ، والأمر المستصعب الذي لا يتحمّله إلاّ ملك مقرّب أو نبي مرسل أو مؤمن كامل امتحن الله قلبه بالإيمان.

وفي هذه العجالة أودّ أن أطرح بعض أسرار زيارة مولانا وإمامنا ثامن الأئمّة المعصومين الأطهار علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ، وذلك من خلال الأخبار الشريفة الصادرة منهم ، فإنّهم أعرف بمقاماتهم وشؤونهم عند الله سبحانه وتعالى ، ولا يمكن أن نعرفهم بمعرفة جمالية وكمالية إلاّ من خلال كلماتهم النورانية وأحاديثهم القدسية ، فإنّ إحاطة المعلول بعلّته والمعلوم بعالمه أمر مستحيل.

أقول مقدّمة : الزيارة . لغة واصطلاحاً . :

لغةً : تعني حضور الزائر عند المزور ، كما أنّ الذكر بمعنى حضور المذكور عند الذاكر فهو يعكس الزيارة ، وهي تختلف باختلاف المقاصد والمتعلّقات ، فزيارة التاجر لقضايا تجاريّة تكون زيارة اقتصاديّة ، وزيارة رئيس دولة لدولة أُخرى للحديث الثنائي بين الدولتين تكون زيارة سياسيّة ، وهكذا زيارة المأموم لإمامه لتحكيم مباني العقيدة والمبادئ ، وإظهار الولاء والمودّة التي تعني المحبّة مع الإطاعة ، تكون زيارة عقائديّة ومبدئيّة.

واصطلاحاً : الحضور المذكور مع التحيّة والسلام والتبجيل والاحترام ، أو قراءة الزيارة وتلاوتها ولو من بعيد ، والشعور بالحضور الروحاني لا الحضور الجسدي ، وذلك تقرّباً إلى الله سبحانه وتعالى . ثمّ لا يخفى أنّ زيارة أولياء الله من مظاهر الولاية واتّصال الزائر بالمزور.

وقد وردت الروايات الكثيرة في فضل زيارة الأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، وكذلك زيارة العلماء الصلحاء والمؤمنين الأخيار ، لما فيها من الفوائد العظيمة والآثار المعنوية الجسيمة في الدنيا والآخرة ، وما يترتّب عليها من العناية الباطنية حتّى تكاد أن تغيّر جوهرية الإنسان وماهيته ، وتجعله في عداد الملائكة ، وتقلّبه وترفعه من حضيض الحيوانية إلى قمّة الإنسانية والفناء في الله سبحانه ، فكم من طالح فاسق صار بالزيارة مؤمناً وصالحاً ، وانقلب من الشرّ إلى الخير ، ومن الباطل إلى الحقّ ؟ ! وما أكثر الزائرين لمشاهد الأولياء تغيّرت مشاعرهم وأحاسيسهم ، وحسن حالهم وفتحت أبصار قلوبهم وآذانها لتسمع الإلهامات الرحمانية ، وترى الأنوار الإلهية ، كل ذلك من بركات وآثار الزيارة وإنّها من شعائر الله :

(وَمَنْ يُعَظِّم شَعائِرَ اللهِ فَإنَّها مِنْ تَقْوى القُلُوب)[2].

فالزيارة شعار لشعور ولائي صادق ، وإيمان راسخ ، وعقيدة سليمة.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) :

إنّ ولايتنا ولاية الله عزّ وجلّ التي لم يبعث نبيّ قطّ إلاّ بها ، إنّ الله عزّ اسمه عرض ولايتنا على السماوات والأرض والجبال والأمصار فلم يقبلها قبول أهل الكوفة ، وإنّ إلى جانبهم لقبراً ما لقاه مكروب إلاّ نفّس الله كربته ، وأجاب دعوته ، وقلّبه إلى أهله مسروراً[3].

ثمّ لا يخفى أنّ قبول الأعمال إنّما يتمّ مع اجتماع شرائط خاصّة ، ومن أهمّها :

1 . الإيمان بالله سبحانه ، فإنّ الكفر والشرك ممّا يوجب حبط العمل كما ورد في الآيات القرآنيّة الكريمة.

2 . العلم ، فإنّ عبادة الجاهل لا تنفع ، بل ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : (قسم ظهري اثنان ، جاهلٌ متنسّك، وعالمٌ متهتّك) ، فشرط قبول العمل العلم والمعرفة.

3 . التقوى ، كما قال سبحانه : (إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ)[4].

4 . الولاية ، وما نودي بمثل ما نودي بالولاية ، فهي روح العمل وأساسه ، ولولاها لا تقبل الأعمال بلغت ما بلغت ، فلو عبد الإنسان ربّه بين المقام وركن حجر الأسود ليل نهار حتّى يكون كالشنّ البالي ، ولم يوالِ أهل البيت (عليهم السلام) فلا قيمة له ، لأنّ الله يريد العبادة بشرطها وشروطها ، وروح الشرائط الولاية ، وما أكثر النصوص القرآنيّة والروائيّة عن النبيّ والعترة الطاهرة تدلّ على ذلك[5].

ومثال هذه الأُمور الأربعة كالسراج (وهو الإيمان) ، والفتيل (وهو العلم) ، والزيت (وهو التقوى) ، والقدّاحة وعود الكبريت (وهو الولاية) ، فهي التي تشعل السراج لتنير ما حوله ، وببركة النور ترى الأشياء ، فإنّ النور ظاهر بنفسه ومظهر لغيره ، والمؤمن نوره يسعى بين يديه في الدنيا والآخرة ، فإنّه يحمل شعور ولائي صادق ينير له الدرب والصراط المستقيم ، ولهذا الشعور والمبدأ العقائدي شعائر ، منها الزيارة فهي من آيات الشعور الولائي ، وهي مفتاح الأبواب ، بل هي زرّ لإشعال الضوء في الحياة ، فإنّ الزائر بحضوره عند المعصوم المزور (عليه السلام) أو بقراءة زيارته يرتبط معه عقائديّاً ، ويعلن ولائه وإطاعته

واتّباع نهجه والتولّي لأوليائه والتبرّي من أعدائه ، ويحكي عن وجوده وقلبه ، أ نّه سلمٌ لمن سالمكم ، وحربٌ لمن حاربكم.

واختلاف درجات ثواب الزيارات إنّما هي باختلاف المعرفة للإمام (عليه السلام)كاختلاف درجات الجنّات ودرجات الإيمان ، فمنهم من يزور الإمام وله ثواب حجّة واحدة ، ومنهم من يزور وله ثواب ألف حجّة مقبولة.

فزيارة القبور ممّا ورد عليه الحثّ الإسلامي الشديد ، وكما جاء في زيارة الجامعة :

(أسماؤكم في الأسماء وأرواحكم في الأرواح ، وقبوركم في القبور ، فما أحلى أسماءكم ، وما أعظم شأنكم).

فإنّ أسماء الأئمة وإن كان بين أسماء الناس ، إلاّ أ نّه عندما يكون مسمّى الاسم ذواتهم المقدّسة يعطى للإسم حلاوة خاصّة ، يوجب السرور والانبساط والبركة والخير ، فإنّها اشتقّت من أسماء الله سبحانه . وكذلك قبورهم فهي بين قبور الناس إلاّ أنّ قبورهم تكون دار الشفاء وتكون بمنزلة عرش الله سبحانه ، كما يذكر ابن بطوطة في رحلته قائلا :

فما أعظم شأن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ؟ !

ولكي نعرف أثر الزيارة في حياة الإنسان ولو على نحو الإشارة والاجمال ، لا بأس أن نقرأ ما قاله المحقّق معلّم الأخلاق الشهير المولى محمد مهدي النراقي قدّس سرّه الشريف المتوفّى سنة (1209) في كتابه القيّم (جامع السعادات)[6] في خاتمة الكتاب تحت عنوان (زيارة المشاهد) قال : (في الإشارة إلى بعض الأُمور الباطنة المتعلّقة بزيارة المشاهد :

1 . اعلم أنّ النفوس القوية القدسية ، لا سيّما نفوس الأنبياء والأئمّة (عليهم السلام) إذا نقضوا أبدانهم الشريفة وتجرّدوا عنها ، وصعدوا إلى عالم التجرّد ، وكانوا في غاية الإحاطة والاستيلاء على هذا العالم ، فأُمور هذا العالم عندهم ظاهرة منكشفة ، ولهم القوّة والتمكّن على التأثير والتصرّف في موادّ هذا العالم ، فكل من يحضر مقابرهم لزيارتهم يطّلعون عليه ، لا سيّما ومقابرهم مشاهد أرواحهم المقدّسة العليّة ، ومحالّ حضور أشباحهم البرزخية النورية ،

فإنّهم هناك يشهدون : (بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقون) [7] ، وبما آتاهم الله من فضله فرحون ، فلهم تمام العلم والاطّلاع بزائري قبورهم وحاضري مراقدهم ، وما يصدر عنهم من السؤال والتوسّل والاستشفاع والتضرّع ، فتهبّ عليهم نسمات ألطافهم ، وتفيض عليهم من رشحات أنوارهم ، ويشفعون إلى الله في قضاء حوائجهم ، وإنجاح مقاصدهم ، وغفران ذنوبهم ، وكشف كروبهم ، فهذا هو السرّ في تأكد استحباب زيارة النبيّ والأئمة (عليهم السلام).

2 . مع ما فيه من صلتهم.

3 . وبرّهم.

4 . واجابتهم.

5 . وإدخال السرور عليهم.

6 . وتجدّد عهد ولايتهم.

7 . وإحياء أمرهم.

8 . وإعلاء كلمتهم.

9 . وتنكيث أعدائهم.

وكلّ واحد من هذه الأُمور ممّا لا يخفى عظيم أجره وجزيل ثوابه ، وكيف لا تكون زيارتهم :

10 . أقرب القربات.

11 . وأشرف الطاعات ، مع أنّ زيارة المؤمن . من جهة كونه مؤمناً فحسب . عظيم الأجر جزيل الثواب ، وقد ورد به الحثّ والتوكيد والترغيب الشديد من الشريعة الطاهرة ، وإذا كان الحال في المؤمن من حيث أ نّه مؤمن ، فما ظنّك بمن عصمه الله من الخطأ وطهّره من

الرجس ، وبعثه إلى الخلائق أجمعين ، وجعله حجّة على العالمين ، وارتضاه إماماً للمؤمنين وقدوة للمسلمين ، ولأجله خلق السماوات والأرضين ، وجعله صراطه وسبيله ، وعينه ودليله ، وبابه الذي يؤتى منه ، ونوره الذي يستضاء به ، وأمينه على بلاده ، وحبله المتّصل بينه وبين عباده ، من رسل وأنبياء وأئمة وأولياء.

ثمّ الأخبار الواردة في فضيلة زيارة النبي والأئمة (عليهم السلام) ممّا لا تحصى كثرة . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إليّ في حياتي ، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إليّ بالسلام فإنّه يبلغني.

وقال (صلى الله عليه وآله) لأميرالمؤمنين (عليه السلام) :

يا أبا الحسن ، إنّ الله تعالى جعل قبرك وقبرَ ولدِكَ بقاعاً من بقاع الجنّة وعرصة من عرصاتها ، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحنّ إليكم ، وتحتمل المذلّة والأذى فيكم ، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرّباً منهم إلى الله ومودّة منهم لرسوله ، أُولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي ، والواردون حوضي ، وهم زوّاري وجيراني غداً في الجنّة ، يا علي ، من عمّر قبورهم وتعاهدها فكأ نّما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس ، ومن زار قبوركم عدل ذلك سبعين حجّة بعد حجّة الإسلام ، وخرج من ذنوبه حتّى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أُمّه ، فأبشر ، وبشِّر أولياءَك ومحبّيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ولكن حثالة من الناس يعيّرون زوّار
قبوركم ، كما تعيّر الزانية بزناها ، أُولئك شرار أُمّتي لا تنالهم شفاعتي ولا يردون حوضي ...[8].

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) :

إن لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته ، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحُسن الأداء زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه ، كان أئمته شفعاءه يوم القيامة[9].

والأخبار في فضل زيارة النبيّ والأئمة المعصومين لا سيّما زيارة سيّد الشهداء وأبي الحسن الرضا عليهم أفضل التحية والثناء ، وفضل زيارتهما على الحجّ الاستحبابي والعمرة والجهاد ، أكثر من أن تحصى ، وهي مذكورة في كتب المزار لأصحابنا الكرام.

بعد أن عرفنا إجمالا وعلى نحو العموم أثر الزيارة ومقامها الشامخ في حياة المرء ، حان الموعد أن نعرّج إلى ما هو المقصود من عقد هذه الرسالة الموجزة ، وهو الحديث عن أسرار الزيارة الرضوية من خلال الأخبار النبويّة والولويّة . الصادرة من النبي والولي (عليهما السلام) . والله المستعان.

---

[1]لقد ذكرت خمسة من هذه الأسرار في محاضرة إسلامية ليلة ميلاد الإمام الرضا (عليه السلام) 11 ذي القعدة سنة 1418 في حسينية النجف الأشرف بقم المقدّسة في احتفال بهيج ، وأُهدي هذه الرسالة الموجزة إلى الأخوة الدعاة هداهم الله لنزداد في أئمتنا الأطهار (عليهم السلام) معرفة وبصيرة وولاءً وفداء ، ومن الله التوفيق والسداد والهداية وهو حسبنا ونعم الوكيل.

[2]الحج : 32.

[3]أمالي المفيد : 142.

[4]المائدة : 27.

[5]ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (هذه هي الولاية) ، فراجع.

[6]جامع السعادات 3 : 398.

[7]آل عمران : 169.

[8]مستدرك الوسائل 2 : 195 ، كتاب الحجّ ، الباب 10 من أبواب المزار.

[9]قال الإمام الصادق (عليه السلام) : إنّ أبواب السماء لتفتح عند دعاء الزائر لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، فلا تكن عن الخير نوّاماً (جامع الأخبار : 74).

قال حسّان بن مهران الجمّال : قال الإمام جعفر بن محمّد (عليه السلام) لي : يا حسّان ، أتزور قبور الشهداء فيكم ؟ قلت : أيّ الشهداء ؟ قال (عليه السلام) : علي والحسين (عليهما السلام) . قلت : إنّا لنزورها فنكثر ، قال (عليه السلام) : أُولئك الشهداء المرزقون فزورهم وافزعوا عندهم بحوائجكم.

السرّ الأوّل- مزار الإمام (عليه السلام) روضة من رياض الجنّة

الجنّة دار استراحة المؤمنين والمؤمنات بعد يوم القيامة ، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وما لم يخطر على قلب بشر ، لا يدخلها إلاّ من كان سعيداً :

(وَأَمَّا الَّذِينَ سعدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا)[1].

فالسعيد في جنّات عرضها السماوات والأرض يدرك السعادة الأبدية ويحسّ بها.

والله سبحانه جعل في أرضه بلطفه وحكمته وكرمه بقاعاً فيها من الإحساس ما في الجنّة التي أُعدّت للمتّقين ، ولو فتح الله بصيرة الإنسان لرأى بوضوح أنّ هذه البقعة جنّة من جنّات الله سبحانه ، إلاّ أنّ الذنوب والمعاصي هي التي تحجب المرء عن أن يدرك ذلك فيتسائل عنها.

ومن تلك البقاع التي في عالم المعنى هي جنّة من جنان الله سبحانه ، ما بين قبر النبي الأكرم محمّد (صلى الله عليه وآله) ومنبره ، فقد ورد في الحديث النبوي الشريف المتّفق عليه عند الفريقين :

ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنّة.

الكافي بسنده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنّة ، ومنبري على ترعة من ترع الجنّة ، وقوائم منبري رتب في الجنّة ،

قال : قلت : هي روضة اليوم ؟

قال : نعم إنّه لو كشف الغطاء لرأيتم[2].

فمن كان من أهل كشف الغطاء ومن أهل الشهود والمعاينة ، فإنّه بلا شكّ يرى تلك الجنّة وما معناه ، وإنّه كيف يستريح فيها ، ويتلذّذ بنعيمها العلمي والسبحاني ، وفيها ما تشتهي الأنفس ، ولم يخطر على قلب بشر . والحرّ تكفيه الإشارة . فإنّ الغاية من الجنّة هي أن تكون دار استراحة أبديّة روحيّة وجسديّة للمؤمنين والمؤمنات ، ودار جزاء للإيمان والأعمال الصالحة التي تختصّ بالمؤمنين والمؤمنات ، وإنّها طبقات ودرجات ومقامات ، فمن المؤمنين من يسكن الطبقة الأُولى ، ومنهم من يكون بجوار رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحوله ، على منابر من نور مبيضّة وجوههم.

فمن الجنّات الفردوس ودار السلام وجنّة المأوى وغيرها ، وأعلاها جنّة الله ، وهي جنّة الأسماء والصفات ، وإنّها مختصّة بأولياء الله ، وإنّهم أصحاب النفوس المطمئنّة التي ترجع إلى ربّها راضيةً مرضيّة.

فمن يزور الكعبة المشرّفة وحرم النبيّ (صلى الله عليه وآله) بين بيته ومنبره ، وحرم الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ، يشعر ويحسّ بالارتياح الروحي والقلبي ، وكأ نّه في جنّة الله وروضته بين الحور والولدان المقرّبين ، يطوف عليه الملائكة بأباريق من ذهب وفضّة ، وكؤوس من لؤلؤ ومرجان ، فلا حزن ولا آلام حتّى ينسى نفسه ، وينسى هموم الدنيا ومصائبها ومتاعبها ، وكأ نّه يعيش في عالم آخر ، مرتاح البال ومطمئنّ القلب ، ويدرك أوصاف الجنّة التي وردت في الآيات والروايات ، كلّ هذا ببركة النبيّ والعترة الطاهرة ، والزيارات المقبولة ، وحتّى من الزائرين من ينفتح بصره وسمعه ، فيسمع جواب سلامه على إمامه ، ويرى حقائق الأشياء كما هي ، والعاقل تكفيه الإشارة.

فمن تلك البقاع الجنانية الحرم الرضوي الشريف ، قد رفع الله شأنها وأكرم منزلتها وبارك حولها ، وعمّرها بالعلم النافع والإيمان الصالح ، يشعّ منها الأنوار الإلهية إلى كلّ ربوع الأرض ، وهو مهبط نزول الملائكة بالرحمة والبركة.

بحار الأنوار ، بسنده عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أ نّه قال :

إنّ بخراسان لبقعة يأتي عليها زمان تصير مختلف الملائكة ، فلا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أن ينفخ في الصور.

فقيل له : يا ابن رسول الله وأيّ بقعة هذه ؟

قال : هي بأرض طوس وهي والله روضة من رياض الجنّة ، من زارني في تلك البقعة كان كمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكتب الله تبارك وتعالى له بذلك ثواب ألف حجّة مبرورة وألف عمرة مقبولة ، وكنت أنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة[3].

مثل هذه الرواية الشريفة ممّا يستدلّ بها على إمامة الإمام (عليه السلام) ، فإنّها من الأخبار الغيبيّة ، فإنّه (عليه السلام) قبل شهادته ، أخبر بمحلّ دفنه وأ نّه يكون مزاراً لعشّاق ولايته إلى يوم القيامة ، وأنّ الملائكة لا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أن يُنفخ في الصور ، فما أعظم ذلك ، كيف لا تكون زيارته الكريمة تعادل زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ وكيف لا يثاب الزائر بألف حجّة مبرورة وألف عمرة مقبولة ، وكيف لا ينال شفاعة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) يوم القيامة ؟ وكيف لا تكون تلك البقاع المقدّسة بحكم الحرم الإلهي الشريف الذي من دخلَه كان آمناً من الذنوب ومن فزع اليوم الأكبر ؟

عن أبي هاشم الجعفري ، قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول :

إنّ بين جبلي طوس قبضة قبضت من الجنّة ، من دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار[4].

وكيف لا يرفع الله شأن تلك البقعة المطهّرة وذلك الحرم الشريف ؟

عن الإمام الصادق (عليه السلام) :

أربع بقاع ضجّت إلى الله أيّام الطوفان : البيت المعمور فرفعه الله ، والغري . النجف الأشرف . وكربلاء وطوس[5].

فقبوركم في القبور ، إلاّ أ نّه ما أعظم شأنكم وأرفع مقامكم وأجلّ منزلتكم ، وإنّ حرمكم هي الروضة الشريفة والجنّة الفردوس ، لا يلقّاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم ، وأتى الله بقلب سليم.

---

[1]هود : 108.

[2]البحار 97 : 146 ، عن الكافي 4 : 554.

[3]البحار 99 : 31 ، الباب 4 ، الحديث 2.

[4]البحار 99 : 37 ، عن العيون 2 : 256.

[5]المصدر : 40 ، عن فرحة الغري : 70.

السرّ الثاني معرفة الإمام (عليه السلام) جوهر الزيارة

المعرفة أخصّ من العلم الذي يعني الانكشاف وانطباع صورة الشيء في الذهن ، وربما في بعض الموارد يرادفه ، والمعرفة كلّي مشكّك ذات مراتب طولية وعرضية ، أُفقيّة وعموديّة ، منها المعرفة الجلالية والجمالية والكمالية [1] ، فهي في اتّساع أُفقي وعمودي ، ومن ثمّ اهتمّ الإسلام غاية الاهتمام بكسب العلوم والمعارف ، (بأنّ العلم أوّل دليل والمعرفة آخر نهاية ، وإنّها نور القلب وبرهان الفضل والفوز بالقدس وإيمان وحكمة) ، ويقول الرسول (صلى الله عليه وآله) :

(أفضلكم ايماناً أفضلكم معرفة).

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) :

(إنّ المؤمنين بعضهم أفضل من بعض ، وبعضهم أكثر صلاة من بعض ، وبعضهم أنفذ بصراً من بعض ، وهي درجات . (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَات)[2] .

ويقول الإمام الباقر (عليه السلام) :

(لا يقبل عمل إلاّ بمعرفة ، ولا معرفة إلاّ بعمل ، ومن عرف دلّته معرفته على العمل ، ومن لم يعرف فلا عمل له).

ويقول الإمام الكاظم (عليه السلام) :

(من لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ، والعلم لقاح المعرفة ، ولقاح المعرفة دراسة العلم ، ولقاح العلم التصوّر والفهم)[3].

فقيمة زيارة الزائر بمقدار معرفته بالإمام (عليه السلام) ، وباختلاف درجات المعرفة يختلف الثواب والأجر ، فما يعطى للعالم غير ما يعطى للجاهل ، وهذا أمر واضح بالوجدان ، وربما من هذا المنطلق نجد الزيارة وقياسها بالحجّ تختلف ، كما ورد في الروايات ، فتارة

يقاس بحجّة مقبولة ، وأُخرى بسبعين ، وثالثة بسبعمائة ، ورابعة بألف ، وخامسة بسبعين ألف ، وسادسة بألف ألف حجّة ، وهكذا المثوبات الأُخرى ، فتأمّل.

فاسع أ يّها الزائر الكريم في زيادة معرفتك بإمامك (عليه السلام) ، فقيمة زيارتك يناط بمعرفتك ، كما ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) أ نّه قال :

(يقتل حفدتي بأرض خراسان في مدينة يُقال لها طوس ، من زاره إليها عارفاً بحقّه ، أخذته بيدي يوم القيامة وأدخلته الجنّة ، وإن كان من أهل الكبائر.

قلت : جعلت فداك ، وما عرفان حقّه ؟

قال : يعلم أ نّه مفترض الطاعة غريب شهيد ، من زاره عارفاً بحقّه أعطاه الله عزّ وجلّ أجر سبعين شهيداً ممّن استشهد بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) على حقيقة).

العيون بسنده عن الصادق (عليه السلام) ، قال : (سمعته يقول :

يخرج من ولد ابني موسى ، اسمه اسم أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، فيدفن في أرض طوس وهي بخراسان ، يقتل فيها بالسمّ ، فيدفن فيها غريباً ، من زاره عارفاً بحقّه ، أعطاه الله عزّ وجلّ أجر من أنفق قبل الفتح وقاتل).

عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، قال : (مرّ به ابنه وهو شاب وبنوه مجتمعون عنده فقال :

إنّ ابني هذا يموت في أرض غربة ، فمن زاره مسلّماً لأمره عارفاً بحقّه ، كان عند الله جلّ وعزّ كشهداء بدر).

---

[1]لقد ذكرت تفصيل ذلك في (الدرّ الثمين في معرفة أمير المؤمنين (عليه السلام)) ، وهو مطبوع ، وفي (الإمام الحسين (عليه السلام) في عرش الله) ، وهو مخطوط.

[2]المجادلة : 11.

[3]هذه نبذة من الروايات نقلتها من ميزان الحكمة 3 : 870 ، الطبعة الجديدة ، فراجع.

السرّ الثالث ـ زيارة الإمام (عليه السلام) من زيارة الرسول (صلى الله عليه وآله)

الإمامة الحقّة إنّما تعني امتداد خطّ النبوّة وخلاصتها ، فهي رياسة عامّة في الدين والدنيا بعد النبي (صلى الله عليه وآله) بنصّ من الله سبحانه لحفظ النبوّة من الضياع والانحراف والانعدام.

فالإمام المعصوم (عليه السلام) إنّما يمثّل مقام النبوّة والولاية العظمى بعد رسول الله ، ويستخلفه في كلّ شيء إلاّ النبوّة ، فهو نفس رسول الله ومن نور واحد ، وكلّ ما يستدلّ به على ضرورة النبوة العامّة والخاصّة ولزومها وحقّانيتها ، وأ نّها بنصب ونصّ من الله عزّ وجلّ لعلمه بالعصمة ، كذلك يستدلّ على الإمامة الحقّة . كما هو ثابت في علم الكلام [1] . فمن زار الإمام (عليه السلام) بلا شكّ يكون زائراً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)أيضاً ، فإنّهم من نور واحد وكلّهم نور واحد.

عن سليمان بن حفص قال : سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) يقول :

إنّ ابني عليّاً مقتول بالسمّ ظلماً ، ومدفون إلى جانب هارون بطوس ، من زاره كمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله)[2].

أمالي الصدوق بسنده عن عبد الله بن الفضل قال : كنت عند أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) فدخل عليه رجل من أهل طوس فقال له : يا ابن رسول الله ، ما لمن زار قبر أبي عبد الله الحسين بن علي (عليه السلام) فقال له :

يا طوسي ، من زار قبر أبي عبد الله الحسين بن علي (عليه السلام) وهو يعلم أ نّه إمام من الله مفترض الطاعة على العباد ، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، وقبل شفاعته في سبعين مذنباً ، ولم يسأل الله جلّ وعزّ عند قبره حاجة إلاّ قضاها له.

قال : فدخل موسى بن جعفر (عليه السلام) ، فأجلسه على فخذه وأقبل يقبّل ما بين عينيه ، ثمّ التفت إليه فقال له :

يا طوسي ، إنّه الإمام والخليفة والحجّة بعدي ، وإنّه سيخرج من صلبه رجل يكون رضىً لله عزّ وجلّ في سمائه ولعباده في أرضه ، يقتل في أرضكم بالسمّ ظلماً وعدواناً ، ويدفن بها غريباً ، ألا فمن زاره في غربته وهو يعلم أ نّه إمام بعد أبيه ، مفترض الطاعة من الله عزّ وجلّ ، كان كمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله)[3].

فثواب وأجر زيارة النبيّ (صلى الله عليه وآله) يترتّب على من زار الإمام الرضا (عليه السلام) أيضاً ، بل تترتّب الآثار وكذلك المقدّمات والنتائج ، وكما ورد في الخبر الشريف : أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد ، وكلّنا محمّد (صلى الله عليه وآله) ، فتدبّر.

---

[1]لقد ذكرت تفصيل ذلك في كتابي (عقائد المؤمنين) و (دروس اليقين في معرفة أُصول الدين) ، وهما مطبوعان ، وكذلك في كتابي (بداية الفكر في شرح الباب الحادي عشر) و (القول الحميد في شرح التجريد) ، وهما مخطوطان.

[2]البحار 99 : 38 ، عن العيون 2 : 260.

[3]أمالي الصدوق : 587 ، والبحار 99 : 43.

السرّ الرابع ـ خواصّ الشيعة زوّار الإمام (عليه السلام)

الشيعة والتشيع بمعنى متابعة أمير المؤمنين وسيّد الوصيين أسد الله الغالب عليّ ابن أبي طالب (عليه السلام) ، والإيمان بإمامته وأ نّه خليفة رسول الله بلا فصل ، وأ نّه أشرف خلق الله بعد رسول الله (عليهما السلام) ، وأ نّه من نفس الرسول (صلى الله عليه وآله) ، له ما له دون النبوّة.

ولقد بشّر النبي شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) بالجنّة من اليوم الأوّل من رسالته السماوية السمحاء ، كما في حديث الدار ، فكان (صلى الله عليه وآله) قد شيّد بمقام شيعته (عليه السلام) ، كما في كتب الفريقين (السنّة والشيعة)[1].

وقد أخبر النبي ـ كما في كتب الفريقين ـ أنّ أُمّته ستنقلب على أعقابها ، وأ نّها ستفترق ثلاث وسبعين فرقة ، وأنّ فرقة واحدة تكون مع الحقّ والحقّ معها ، والباقية من الهالكين يوم القيامة.

وعلى الرسول الأعظم من باب اللطف أن يعيّن تلك الفرقة الناجية ويعطي مواصفاتها ، حتّى لا تضلّ الأُمّة من بعده ، وقد فعل بما أُمر ، فبلّغ رسالته في مواطن كثيرة ، وأحاديث جمّة ، تعدّ بالمئات كحديث الحق :

الحقّ مع عليّ ، وعليّ مع الحقّ ، أينما دار يدور.

وكحديث الغدير :

من كنت مولاه فعليّ مولاه.

وحديث الثقلين :

إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

وحديث السفينة :

مثل أهل بيتي كسفينة نوح ، من ركبها نجى ، ومن تخلّف عنها غرق وهوى.

وغيرها من الأحاديث الشريفة الصحيحة الثابتة عند الفريقين ، ولله الحجّة البالغة :

(فَمَاذا بَعْدَ الحَقِّ إلاّ الضَّلال)[2].

فالفرقة الناجية أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ، والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قد شخّص لنا أهل البيت والخلفاء من بعده ، وأ نّهم اثنى عشر ، كلّهم من قريش ، وذكر أسماءهم ، كما في حديث جابر الأنصاري وغيره كما عند الفريقين . أيضاً . .

ثمّ الشيعة كالسنّة طوائف ومذاهب ، فالفرقة الناجية منهم . كما عليه الأدلّة النقلية والعقلية كما هو ثابت في محلّه . من كان يؤمن بالأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) ، أوّلهم أمير المؤمنين وسيّد الوصيين علي (عليه السلام) ، وآخرهم قطب عالم الإمكان مولانا وإمامنا صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف وجعلنا من خلّص شيعته وأنصاره والمستشهدين بين يديه.

وممّا يستدل على ذلك الحديث الشريف المعروف بالسلسلة الذهبية ، وأنّ الإمام الرضا (عليه السلام) قال في نيشابور عند قدومه من المدينة المنوّرة إلى طوس :

لا إله إلاّ الله حصني ، فمن دخل حصني أمن من عذابي.

ثمّ قال (عليه السلام) :

بشرطها وأنا من شروطها.

يعني الولاية من شروط التوحيد ، بل هي خلاصة النبوّة والتوحيد ، وبها يكمل الدين وتتمّ النعمة ، كما في آية الإكمال ، وأ نّه لا يقبل العمل مهما كان برّاً وصالحاً لو لم يكن مقروناً بالولاية ، كما يدلّ على ذلك النصوص الدينية إلى ما شاء الله[3].

فالزيارة المقبولة التامّة ما كانت فيها ولاية الإمام الرضا (عليه السلام) بالخصوص ، ومعرفته حقّاً ، والتسليم لأمره صدقاً ، فلا يزوره حينئذ إلاّ الخواص من الشيعة يعني الإمامي الاثنى عشري ، وأمّا الإمام الحسين (عليه السلام) فيزوره السنّي على أ نّه سبط رسول الله وريحانته ، كما يزوره الشيعي الزيدي والاسماعيلي وغيرهم من فرق الشيعة قبل الإمام الرضا (عليه السلام) ، فما دام لم يؤمنوا بولاية الإمام الرضا (عليه السلام) وإمامته ، فإنّه لا تقبل زيارتهم وعباداتهم ، بخلاف الشيعي المؤمن بإمامة الأئمة الاثنى عشر ، فانّه يُقبل عمله ، ويعلم ذلك من خلال زيارته للإمام الرضا (عليه السلام) عارفاً بحقّه وأ نّه إمام مفترض الطاعة ، فكأنّ زيارته محك وميزان للحقّ وللقبول ، ومن كان كذلك فهو الأفضل بهذا الاعتبار ، ولو أردنا أن نعرف الأفضلية بين زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) والإمام الرضا (عليه السلام) لمن كان زائراً لهما ، وهو من خواصّ الشيعة ، فإنّ الأفضل زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) لما ورد في الروايات من الثواب الجزيل والأجر العظيم المترتّب على زيارته ، فإنّه أكثر بكثير من الإمام الرضا (عليه السلام) [4] ، وبهذا الاعتبار تكون زيارته (عليه السلام) أفضل ، أمّا بالاعتبار الأوّل فزيارة الإمام الرضا أفضل كما ورد في الأحاديث الشريفة ، هذا ما تبادر إلى ذهني القاصر جمعاً بين الأخبار الشريفة ، وإلاّ فإطلاق الطائفة الأُولى من الروايات يدلّ على عموم الأفضلية ، لا سيّما في رواية : (أكرم الوفود على الله) كما في السرّ الرابع عشر ، والله العالم بحقايق الأُمور.

عيون أخبار الرضا بسنده عن ابن مهزيار قال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : جعلت فداك ، زيارة الرضا (عليه السلام) أفضل أم زيارة أبي عبد الله (عليه السلام) ؟ فقال :

زيارة أبي (عليه السلام) أفضل ، وذلك أنّ أبا عبد الله (عليه السلام) يزوره كلّ الناس ، وأبي (عليه السلام) لا يزوره إلاّ الخواصّ من الشيعة[5].

عن عبد العظيم الحسني قال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : قد تحيّرت بين زيارة قبر أبي عبد الله (عليه السلام) وبين قبر أبيك (عليه السلام) بطوس ، فما ترى ؟ فقال لي : مكانك ، ثمّ دخل وخرج ودموعه تسيل على خدّيه فقال : زوّار قبر أبي عبد الله (عليه السلام) كثيرون ، وزوّار قبر أبي (عليه السلام) بطوس قليل[6].

قال الصادق (عليه السلام) :

يقتل لهذا . وأومأ بيده إلى مولانا موسى (عليه السلام) . ولد بطوس ، لا يزوره من شيعتنا إلاّ الأندر فالأندر .

قال العلاّمة المجلسي (قدس سره) في بيان الحديث الأوّل :

(لعلّ هذا مختصّ بهذا الزمان ، فإنّ الشيعة كانوا لا يرغبون في زيارته إلاّ الخواصّ منهم الذين يعرفون فضل زيارته ، فعلى هذا التعليل يكون في كلّ زمان يكون إمام من الأئمة أقلّ زائراً يكون ثواب زيارته أكثر ، أو المعنى أنّ المخالفين أيضاً يزورون الحسين (عليه السلام) ولا يزور الرضا إلاّ الخواصّ وهم الشيعة فيكون « من » بيانيّة ، أو المعنى أنّ من فرق الشيعة لا يزوره إلاّ من كان قائلا بإمامة جميع الأئمة ، فإنّ من قال بالرضا (عليه السلام) لا يتوقّف فيمن بعده ، والمذاهب النادرة التي حدثت بعده زالت بأسرع زمان ولم يبق لها أثر)[7].

---

[1]راجع في ذلك مقدّمة كتاب أعيان الشيعة ، وكتاب أصل الشيعة وأصولها ، والذريعة إلى تصانيف الشيعة ، والغدير ، وغيرها من المصادر القيّمة.

[2]يونس : 32.

[3]لقد ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (هذه هي الولاية) و (الأصل حبّنا أهل البيت (عليهم السلام)) ، فراجع.

[4]راجع بحار الأنوار 98 : 1 ـ 376.

وإليك نبذة يسيرة ، فمنها :

* ثواب من جهّز ألف فارس في سبيل الله (فروع الكافي 4 : 581).

* الزائر يغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر (فروع الكافي 4 : 582 ، وسائل الشيعة 1 : 32).

* أيام زائري الحسين (عليه السلام) لا تعدّ من آجالهم (التهذيب 6 : 43).

* له ثواب مئة ألف شهيد مثل شهداء بدر (بحار الأنوار 98 : 17 ، كتاب المزار : 62).

* من ترك الزيارة من غير علّة فهو من أهل النار ! ! (البحار 98 : 5).

* كمن زار الله فوق عرشه (وسائل الشيعة 10 : 319).

* أعتقه الله من النار (بحار الأنوار 98 : 20).

* من لم يأت قبر الحسين ... فليس هو لنا بشيعة (البحار 98 : 4).

* زيارة قبر الحسين أمر افترضه الله على العباد (البحار 98 : 3 ، أمالي الصدوق : 126).

* لو حجّ العبد دهره كلّه ولم يقم بزيارة الحسين لكان عاصياً (البحار 98 : 3 ، التهذيب 6 : 42).

* زيارة الحسين أفضل من الوقوف بعرفات.

* زائر قبر الحسين كمن قتل مع الحسين.

* من أحبّ الأعمال زيارة قبر الحسين (البحار 101 : 49).

* من لم يذهب لزيارته فقد جفا.

* كراهة الحجّ للمرّة الثانية مع التمكّن من زيارة قبر الحسين (عليه السلام).

واعلم أنّ الزيارة مفتاح الأبواب ، كما هو القدّاح الذي يشعل السراج لينير ما حوله ، فلولا النور الظاهر بنفسه والمظهر لغيره لما أمكن رؤية الأشياء ، فكلّ شيء إنّما يرى ببركة النور ، وكذلك الولاية ، والزيارة إنّما هي من عنوان الولاية وشعارها ، كما أنّ السعي بين الصفا والمروة من شعائر الله ومن يعظّم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب ، فمن يزوره ويعظّم الزيارة فذلك من تقوى القلوب.

كما يكتب لزائر سيّد الشهداء الإمام الحسين ثواب الحجّ ولسان الروايات في ذلك مختلفة ، فقد ورد : حجّة مبرورة ، عشر حجج ، عشرين حجّة ، 22 حجّة ، 80 حجّة ، ألف حجّة ، حجّة مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، ثلاث حجّات مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، 30 حجّة مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، 50 حجّة مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، 90 حجّة مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، 100 حجّة مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، ألف حجّة مع النبيّ (صلى الله عليه وآله).

ومن الواضح أنّ اختلاف درجات الثواب باعتبار اختلاف المعرفة ودرجاتها كاختلاف درجات الإيمان ودرجات الجنّات.

[5]البحار 99 : 38 ، عن العيون 2 : 261.

[6]المصدر نفسه.

[7]البحار 99 : 39.

السرّ الخامس ـ درك الرحمة الإلهيّة

من أسماء الله الحسنى : الرحمن الرحيم ، وأنّ رحمته الرحمانية عامّة تعمّ المؤمن والكافر في الدنيا ، وبرحمته الرحمانية يخلقهما ويرزقهما ويدبّر أمرهما ويهديهما ... فهي عامّة تشمل الخلايق كلّها.

وأمّا الرحمة الرحيمية فإنّها تختصّ بالمؤمنين في الدارين ، وإنّها قريبة من المحسنين في الدنيا والآخرة ، وأ نّها من اللطف الخاص والعناية الخاصة ، وممّا يوجب دركها والتوفيق لها زيارة أولياء الله سبحانه ، فإنّها توجب الحسن والإحسان ، وتقرّب العبد إلى ربّه الكريم قاب قوسين أو أدنى ، فيغفر ذنوبه بشفاعتهم ، ويكون من ضيوف الله ومن أكرم الوفود عليه ، فيما لو كان زائراً لمولانا الإمام الرضا (عليه السلام) ، فزيارته توجب درك الرحمة الإلهية العامة
والخاصة.

عن الهروي قال : دخل الرضا (عليه السلام) القبّة التي فيها هارون الرشيد ، ثمّ خطّ بيده إلى جانبه ، ثمّ قال :

هذه تربتي وفيها أُدفن ، وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبّتي ، والله ما يزورني منهم زائر ولا يسلّم عليّ منهم مسلّم ، إلاّ وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت[1].

وكأ نّي بالإمام (عليه السلام) في كثير من هذه الروايات يشير إلى شهادته ، وأ نّه يُقتل بالسمّ حتّى لا يلتبس الأمر على الشيعة من بعده ، لما يفعله المأمون لعنه الله من الخديعة والمكر وإظهار العزاء وتبرئته من دمه الطاهر ، فهذه الروايات إرهاصات لأيام الشهادة ، وتعريف بالقاتل الطاغية مأمون العبّاسي.

فمن يزور الإمام الرضا (عليه السلام) عارفاً بحقّه ، فإنّه ينال الرحمة الإلهيّة ، فإنّ الملائكة تنزل بالرحمة ، وإنّ أجواء الحرم الشريف والأروقة والصحون والشوارع المحيطة بها ، يعطّ منها روائح الرحمة وعطورها ، وكلّما اقترب الزائر من الضريح المقدّس ولثم الأعتاب

المقدّسة ، يقبّلها ويتبرّك بها ، ويسجد لله شكراً على ما تفضّل عليه من توفيق الزيارة وحضوره عند إمامه ومولاه وسيّده ووليّ نعمته ، فإنّه يلمس نسيم الرحمات الرحمانيّة والرحيميّة ، ويحوطه عطر الولاية ، وطيب المودّة والرحمة ، وإنّما يدرك ذلك من فتح الله مشامّ قلبه ووجوده ، بشرط أن لا يكون من قبل مبتلى بزكام الذنوب وجراثيم الآثام والمعاصي . وإنّما يقف على ما أقول العرفاء الصلحاء ، جعلنا الله وإيّاكم منهم.

---

[1]البحار 99 : 36 ، عن عيون أخبار الرضا 2 : 136.

السرّ السادس - الشفاعة

من الواضح المعلوم أنّ الإنسان رهين بما كسب ، وأ نّه ليس للإنسان إلاّ ما سعى ، وهذا من الأُصول الأساسية في المفاهيم الإسلامية المنبثقة من القرآن الكريم والسنّة الشريفة . فالوصول إلى المراتب العالية والأهداف السامية ، لا يكون بالتكاسل والتمهّل والسكون ، بل لا بدّ من الحركة والعمل الدؤوب المتواصل ليل نهار ، وحتّى في الأُمور المعنوية والمسائل الروحية وما يرتبط بعالم الآخرة ، فلا بدّ من العبادة والانقطاع إلى الله سبحانه في الليل والنهار ، لا بدّ من الصلوات اليومية ، ومن صيام شهر رمضان المبارك ، وأداء مناسك الحج ، ورعاية جميع الأحكام الإلهية ، بإتيان الواجبات وترك المحرّمات ، وذلك من تقوى العام ، بل بإتيان النوافل والمستحبّات فضلا عن الواجبات ، وترك المكروهات فضلا عن المحرّمات ، وذلك من تقوى الخاص . فليس للإنسان إلاّ ما سعى ، وسوف يرى عمله محضراً ، مثقال شرّ أو مثقال خير.

ولكن من أراد صعود الجبل والوصول إلى قمّته ، فإنّه يتحرّك بنفسه أوّلا ، ويحمل معه ما يعينه على المسير والصعود ، إلاّ أ نّه في بعض المواقف يحتاج إلى من يسنده ويعينه ويدفعه إلى الأمام ، ويأخذ بيده للصعود إلى القمّة ، وحفظه من الانزلاق والهبوط ، وهذا الشخص المعين والمساعد يسمّى بالشفيع ، فهو بشفاعته
يساعد الصاعد على صعوده.

والمؤمن في حياته الإيمانية العلمية والعمليّة ، يبذل ما في وسعه وطاقته لنيل رضى الله سبحانه ، إلاّ أ نّه لعظم الصعود وأ نّه إلى ربّك المنتهى ، وأ نّه إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الخالص ، وأ نّه في مقام الإخلاص يرى أ نّه لم يفعل شيئاً ، ولا يقدر طي المنازل وإدامة المسير بوحده ، وإنّه يحتاج إلى شفيع يكمل وتره ، ويشفع له في التقرّب إلى ربّه العزيز ، ليجبر نقصه وضعفه ، وليدفعه إلى الصعود إلى المدارج العالية والمقامات السامية ونيل قمّة الكمال ، وهي زيارة الله في عرشه ، ولا يتحقّق ذلك إلاّ بالشفاعة . ولتحقّق الشفاعة أسباب وعوامل ، ومن أهمّها زيارة أولياء الله ، كما أنّ الإقرار بالذنب من الوسائل لدرك

الشفاعة النبوية والولوية ، وخاتم الأنبياء محمّد (صلى الله عليه وآله) ادّخر شفاعته لأصحاب الكبائر من أُمّته . كما ورد في الحديث الشريف عند الفريقين . .

ومن أبرز العوامل للحصول على الشفاعة والمعونة الإلهية والتوفيقات الربّانية زيارة مولانا الإمام الرضا (عليه السلام) ، فإنّ زائره ينال الشفاعة ولو كان عليه ذنوب الثقلين ، وهذا من أسرار الولاية والزيارة فلا تغفل.

العيون بسنده عن ابن الفضال ، عن أبيه ، قال : سمعت الرضا (عليه السلام) يقول :

إنّي مقتول ومسموم ومدفون بأرض غربة ، أعلم ذلك بعهد عهده إليّ أبي عن أبيه عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ألا فمن زارني في غربتي كنت أنا وآبائي شفعاءه يوم القيامة ، ومن كنّا شفعاؤه نجى ، ولو كان عليه وزر الثقلين.

وهذا لا يعني التجرّؤ على الذنوب . والعياذ بالله . بل يعني الحياء من الله ورسوله وعترته الطاهرين ، فمن كان عنده مثل هذا الربّ الغفور الرحيم ، ومثل هؤلاء الشفعاء الأطهار ، كيف يعصي الله ورسوله والعترة الهادية ؟ !

السرّ السابع ـ غفران الذنوب ما تقدّم منها وما تأخّر

العصمة الذاتية من الذنوب والآثام والشين والرين والخطأ والسهو تختصّ بأهلها ، كالأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) ، وكذلك من يحذو حذوهم بالعصمة الأفعالية ويرثهم في علومهم وسلوكهم ، وأمّا غير هؤلاء وما دونهم فكلّ واحد معرّض للخطأ والعصيان ، فإنّ غير المعصوم (عليه السلام) غير معصوم من الذنوب والمعاصي :

(وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ)[1].

وأكثر الناس يغرّهم الشيطان بوساوسه وخطواته وحزبه وحبائله ، كما تغريهم الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها ، كما تأمره النفس الأمّارة بالسوء بارتكاب الآثام ، فيبتلى المرء بالمعاصي والمنكرات ، إلاّ أن الله يغفر الذنوب جميعاً إلاّ ما أُشرك به ، فإنّه هو التوّاب الرحيم . فمن كان موحّداً مؤمناً بالله سبحانه فإنّه لا ييأس من روحه وغفرانه مهما فعل من الذنوب ، وارتكب من المعاصي ، ما دام لم يسوَدّ قلبه وينتكس وينقلب كالحجارة أو أشدّ قسوة[2].

فالمذنب يلتجئ إلى رحمة الله وإلى نبيّ الله (صلى الله عليه وآله) الذي هو رحمة للعالمين ومظهر
رحمة الله ، وإلى أهل بيته الأطهار (عليهم السلام) ، فمن يقتدي بهم في سلوكه ومعتقداته ويطيعهم في كلّ الأحوال ، فإنّه ينجو لا محالة ، وممّا يوجب النجاة من الذنوب زيارتهم (عليهم السلام).

والعجب أنّ زيارتهم المقدّسة توجب غفران الذنوب ما تقدّم منها وما تأخّر ، أي تعطي الحصانة وصمّام الضمان في المستقبل ، أمّا ما تقدّم من الذنوب فواضح ، فإنّ الزيارة تعني الماء الطاهر المطهّر الذي يزيل الأوساخ والأقذار من الثياب والجسد ، فتوجب محو الذنوب وكفّارة المعاصي وطهارة القلوب وتزكية النفوس وانشراح الصدور.

وأمّا ما تأخّر فهذا من أسرار الزيارة والولاية ، ويبدو لي في ذلك وجوه :

الأوّل : أنّ الزائر بزيارته المقبولة يتوفّق للتوبة في آخر حياته وعند موته ، فلا يموت إلاّ مسلماً صالحاً مغفوراً ، فيغفر ما تأخّر من ذنبه ، ويكون عاقبته على خير وصلاح وغفران.

الثاني : قدسية الزيارة وعلوّ درجاتها تعطي الإنسان الزائر عصمة أفعالية ، فإنّه بعد درك فيض الزيارة المقبولة ، وانفتاحه على إمامه بروحه وقلبه ، من الصعب أن يفكّر بالذنوب والمعاصي ، فإنّ قداسة الزيارة وشرف الحضور يمنعه من ذلك ، فلا يصدر منه إلاّ الصغار واللمم المغفور له ، فيغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر.

الثالث : في الفقه الإسلامي يقال : الماء إذا بلغ قدر كرّ فلا ينجّسه شيء ، فإنّه يعصم عن النجاسة بمجرّد ملاقاتها ، حتّى يتبدّل أحد أوصافه الثلاثة . الطعم أو الرائحة أو اللون . بإحدى النجاسات المعهودة في الشرع الإسلامي المبين ، فماء الكرّ يكون معصوماً من النجاسات ، بمعنى أ نّه لا تؤثّر النجاسات في طهارته ، ويبقى الماء طاهراً ومطهّراً ، إلاّ أن يتبدّل لونه أو طعمه أو رائحته بالنجاسة.

والزائر بزيارته واتّصاله بالعصمة الولوية ، وبالولاية الإلهية المتمثّلة بالائمّة المعصومين (عليهم السلام) وكذلك الأنبياء (عليهم السلام) ، فإنّه يعصم من الذنوب ، بمعنى أ نّه لا يتأثّر بها ما دام لم يتغيّر جوهره وذاته ، والزائر بعد زيارته المقبولة هيهات أن يرتكب من الذنوب ما يوجب تبدّل حقيقته وباطنه الإيماني الطاهر ، بل الزيارة تعصمه عن ذلك ، فإنّه اتّصل بماء البحر ، اتّصل بالإمامة والولاية العظمى ، فكيف يعمل الذنوب التي تغيّره في قلبه وروحه وعقله ، وتجعله كافراً نجساً ومشركاً رجساً ؟ ! هيهات لا يكون ذلك أبداً ، وهذا معنى غفران الذنوب ما تقدّم منها وما تأخّر.

عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

ستدفن بضعة منّي بخراسان ، ما زارها مكروب إلاّ نفّس الله كربته ، ولا مذنب إلاّ غفر الله ذنوبه.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسمّ ظلماً ، اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم ابن عمران موسى (عليه السلام) ، ألا فمن زاره في غربته غفر الله ذنوبه ما تقدّم منها وما تأخّر ، ولو كانت مثل عدد النجوم وقطر الأمطار وورق الأشجار.

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

من زار قبر أبي (عليه السلام) بطوس ، غفر الله ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، فإذا كان يوم القيامة نصب له منبر بحذاء منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتّى يفرغ الله من حساب عباده.

عن حمدان الدسوائي قال : دخلت على أبي جعفر الثاني (عليه السلام) فقلت له : ما لمن زار أباك بطوس ؟ فقال (عليه السلام) : من زار قبر أبي بطوس غفر الله ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر . قال حمدان : فلقيت بعد ذلك أيوب بن نوح بن دراج فقلت له : يا أبا الحسين ، إنّي سمعت مولاي أبا جعفر (عليه السلام) يقول : من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، فقال أيوب : وأزيدك فيه ؟ قلت : نعم ، فقال : سمعته يقول . يعني أبا جعفر (عليه السلام) . :

من زار قبر أبي بطوس غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، فإذا كان يوم القيامة نصب له منبر بحذاء منبر رسول الله حتّى يفرغ الله من حساب الخلائق[3].

الكليني بسنده عن أبي جعفر (عليه السلام) : من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر . قال : فحججت بعد الزيارة فلقيت أيوب بن نوح فقال لي : قال أبو جعفر (عليه السلام) :

من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، وبني له منبراً حذاء منبر رسول الله وعلي (عليهما السلام) حتّى يفرغ الله من حساب الخلائق.

فرأيت بعد أيوب بن نوح وقد زار ، فقال : جئت أطلب المنبر[4].

عن الهروي قال : كنت عند الرضا (عليه السلام) عليه قوم من أهل قم ، فسلّموا عليه فردّ عليهم وقرّبهم ، ثمّ قال لهم :

مرحباً بكم وأهلا ، فأنتم شيعتنا حقّاً ، وسيأتي عليكم يوم تزورون فيه تربتي بطوس ، ألا فمن زارني وهو على غسل ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه[5].

---

[1]سبأ : 13.

[2]ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (التوبة والتائبون على ضوء القرآن والسنّة) ، وهو مطبوع . وفي (حقيقة القلوب في القرآن الكريم) ، مطبوع.

[3]البحار 99 : 40 ، عن كامل الزيارات : 304.

[4]البحار 99 : 41 ، عن كامل الزيارات.

[5]البحار 99 : 50 ، عن العيون 2 : 260.

السرّ الثامن ـ زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) أفضل من الحجّ بأضعاف مضاعفة

الحجّ بمعنى القصد إلى بيت الله الحرام في مكّة المكرّمة في أيام معلومات لأداء مناسك خاصّة . ومن يُقبل حجّه ، فأدنى ما يصنع به الله ويؤجره ويثيبه ، أن يغفر ذنوبه ويكون كيوم ولدته أُمّه.

فالحجّ ممّا يوجب التقرّب إلى الله سبحانه ، وتطهير النفس ، وتزكية القلب وانشراح الصدر ، كما ورد في الآيات الكريمة والروايات الشريفة[1].

وهناك علاقة وثيقة بين زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) وبين الحجّ ، فكلاهما يوجبان القرب إلى الله سبحانه قاب قوسين أو أدنى ، إلاّ أنّ الزيارة لها من التأثير والتقرّب أكثر من الحجّ بأضعاف مضاعفة بألف حجّة مقبولة وألف عمرة مبرورة.

ولتوضيح هذا المعنى نقول : المرء في حياته الدنيويّة لا يزيد . غالباً . على الثمانين عاماً ، وإنّه من يوم بلوغه إلى يوم رحلته من دار الدنيا الفانية ، يعبد ربّه ويطيعه بخلوص فيتقرّب إليه ، وقد جعل الله سبحانه ليلة من عمره في كلّ سنة تعادل عبادة عمره الطبيعي ونيّف ، أي (ليلة القدر) التي هي خيرٌ من ألف شهر ، فربّما الإنسان بليلة واحدة يطوي مسيرة مائة عام ، وتعادل عبادتها عبادة ألف شهر لم يكن فيها ليلة القدر . كما ورد في الروايات الشريفة . .

وإذا أردنا أن نشبّه ذلك الأمر المعقول بالمحسوس ، فإنّه يشبّه بالقنابل مثلا ، فإنّ قنبلة ربما تدمّر بيوتاً ، وربّما هناك قنابل تدمّر قرى وبلدان . كما يفعله الاستكبار الغربي والشرقي . وهناك قنبلة ذرية تفني مملكة كاملة ، وأخطر منها وأكثر تأثيراً وفعالية ومساحة في التخريب والتهديم القنبلة النووية ، فإنّها تعادل ألف ألف قنبلة عادية.

وكذلك في الأُمور الروحانية والمعنوية ، فإنّ ليلة القدر عند الله تعادل ألف شهر لم يكن فيه ليلة القدر ، وزيارة مولانا الرضا (عليه السلام) تعادل ألف ألف حجة مقبولة ، يعني أكثر تأثيراً من الحجج المستحبّة والنافلة للتقرّب والوصول إلى الله سبحانه وتعالى . فتدبّر.

ثمّ يبدو لي أنّ التعبير بحجّة مقبولة تارة ، وأُخرى بسبعين ، وثالثة بسبعين ألف ، ورابعة بألف ألف ، إنّما يرجع كلّ ذلك إلى المعرفة ، فإنّ قيمة المرء ما يحسنه من المعرفة ، فإنّ من يعرف إمامه بمعرفة جمالية ، فإنّه يثاب ويؤجر بغير ما يثاب صاحب المعرفة الجلاليّة . والمعرفة من الكلّي المشكّك ذات المراتب الطولية والعرضية كما هو ثابت في محلّه . وهذا ما يدلّ عليه الوجدان فإنّ هدايا الملوك تختلف عن هدايا الرعيّة ، فاختلاف الحجج وتعدادها في الروايات الشريفة ربما ناظرة إلى اختلاف معرفة الزائر بإمامه ، ومن هذا المنطلق نجد الإسلام في قرآنه الكريم والسنّة الشريفة يدعو ويهتمّ غاية الاهتمام بالمعرفة وزيادتها وتكميلها قبل الموت ، فإنّ الثواب والعقاب يرتّب عليها ، كما يترتّب على العقل كما ورد (بك أُثيب وبك أُعاقب) ، فتأمّل.

وأمّا الروايات الدالة على أنّ زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) تعادل الحجّ بأضعاف مضاعفة ، فمنها :

عن محمد بن سليمان قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن رجل حجّ حجّة الإسلام ، فدخل متمتّعاً بالعمرة إلى الحجّ ، فأعانه الله تعالى على حجّة وعمرة ، ثمّ أتى المدينة فسلّم على النبي (صلى الله عليه وآله) ، ثمّ أتى أباك أمير المؤمنين (عليه السلام) عارفاً بحقّه يعلم أ نّه حجّة الله على خلقه وبابه الذي يؤتى منه ، فسلّم عليه ، ثمّ أتى أبا عبد الله (عليه السلام) فسلّم عليه ، ثمّ أتى بغداد فسلّم على أبي الحسن موسى (عليه السلام) ، ثمّ انصرف إلى بلاده.

فلمّا كان في هذا الوقت رزقه الله تعالى ما يحجّ به ، فأ يّهما أفضل ، هذا الذي حجّ حجّة الإسلام يرجع أيضاً فيحجّ أو يخرج إلى خراسان إلى أبيك علي بن موسى الرضا (عليه السلام) فيسلّم عليه ؟ قال :

بل يأتي خراسان فيسلّم على أبي (عليه السلام) أفضل ، وليكن ذلك في رجب ، ولا ينبغي أن تفعلوا هذا اليوم ، فإنّ علينا وعليكم من السلطان سنة[2].

العيون بسنده عن الهروي قال : سمعت الرضا (عليه السلام) يقول :

ما منّا إلاّ مقتول شهيد.

فقيل له : فمن يقتلك يا ابن رسول الله ؟

قال : شرّ خلق الله في زماني يقتلني بالسمّ ، ثمّ يدفنني في دار مضيعة وبلاد غربة ، ألا فمن زارني في غربتي كتب الله عزّ وجلّ له أجر مائة ألف شهيد ومائة ألف صدِّيق ومائة ألف حاج ومعتمر ومائة ألف مجاهد وحشر في زمرتنا ، وجعل في الدرجات العلى من الجنّة رفيقنا.

ثواب الأعمال بسنده عن البزنطي ، قال : قرأت كتاب أبي الحسن الرضا (عليه السلام) :

أبلغ شيعتي أنّ زيارتي تعدل عند الله عزّ وجلّ ألف حجّة.

قال : فقلت لأبي جعفر الإمام الجواد (عليه السلام) : ألف حجّة ؟

قال (عليه السلام) : أي والله ألف ألف حجّة لمن زاره عارفاً بحقّه.

عن سليمان بن حفص قال : سمعت موسى بن جعفر (عليه السلام) يقول :

من زار قبر ولدي علي كان له عند الله عزّ وجلّ سبعون حجّة مبرورة.

قلت : سبعين حجّة مبرورة ؟

قال : نعم سبعين ألف حجّة ! !

قلت : سبعين ألف حجّة ؟

قال : فقال : ربّ حجّة لا تقبل ، من زاره أو بات عنده ليلة كان كمن زار الله في عرشه . الخبر .[3].

وهذا يعني كلّه التقرّب إلى الله سبحانه ، وسرعة الوصول واللحوق حتّى يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، كما يحدث ذلك في ليلة القدر لمن أدركها حقّاً ، وأدركته الرحمة الإلهيّة والسعادة الأبديّة.

---

[1]ذكرت ذلك بالتفصيل في كتاب (راهنماى قدم بقدم حجاج) باللغة الفارسية ، وهو مطبوع . وفي (مختصر دليل الحاج) وفي (معالم الحرمين) ، وهو مخطوط.

[2]البحار 99 : 38 ، عن العيون 2 : 258.

[3]البحار 99 : 35 ، عن الأمالي : 120.

السرّ التاسع ـ نيل درجة الشهادة بالزيارة

الشهادة في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمته ونصرة دينه القويم أُمنية كلّ شائق من المؤمنين الرساليين المجاهدين ، وما أعظم مقام الشهداء عند الله وعند الخلق ، يكفيك أ نّهم أحياء عند ربّهم يرزقون ، فرحين مستبشرين بما آتاهم الله من فضله ، ولا يلّقاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم.

فالشهادة تعني الفوز بسعادة الدارين ، وهناك في المفاهيم الإسلامية حينما يراد أن يبيّن أجر بعض العبادات وثوابها فإنّه يقاس بمقام الشهداء وأجرهم وثوابهم الجزيل ، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على عظم علوّ مقام الشهادة والشهداء.

ومن العبادات المقرّبة إلى الله سبحانه زيارة أولياء الله جلّ جلاله ، ولمن زار الإمام الرضا (عليه السلام) عارفاً بحقّه بأ نّه إمام مفترض الطاعة ومسلماً لأمره ، فإنّه ينال بزيارته مقام الشهداء.

ومن أفضل شهداء الإسلام الذي يضرب بهم المثل ويقاس الثواب عليهم شهداء بدر في صدر الإسلام ، فإنّهم بدمائهم الزكيّة اشتدّ عود الإسلام وتروّت شجرته المباركة ، فإنّ لهم حقّ على كلّ مسلم على طول الأزمان والأحقاب ، وفي كل الأمصار والأعصار.

وزائر الإمام الرضا إنّما يُثاب بثواب شهداء بدر ويكون له ما لهم من المقام الشامخ العظيم ، هكذا أراد الله سبحانه لأولياءه الكرام.

كامل الزيارات بسنده عن إبراهيم الزيّات ، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) ، قال : مرّ به ابنه وهو شاب حدث وبنوه مجتمعون عنده ، فقال :

إنّ ابني هذا يموت في أرض غربة ، فمن زاره مسلماً لأمره عارفاً بحقّه كان عند الله جلّ وعزّ كشهداء بدر.

فكلّ ما لشهداء بدر من الحياة والاستبشار والفرحة والمقام العظيم يكون لزائر الإمام الرضا (عليه السلام) ، فما أعظم زيارته ! !

قال أبو عبد الله (عليه السلام) في حديث :

من زاره عارفاً بحقّه أعطاه الله عزّ وجلّ أجر سبعين شهيداً ممّن استشهد بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) على حقيقة[1].

قال شيخنا الأجلّ العلاّمة المجلسي في بيان الخبر : قوله (على حقيقة) أي كائناً على حقيقة الإيمان أو شهادة حقيقية.

قال الإمام الرضا (عليه السلام) :

من زارني في غربتي كتب الله عزّ وجلّ له أجر مئة ألف شهيد ، ومئة ألف صدّيق ، ومئة ألف حاجّ ومعتمر ، ومئة ألف مجاهد ...

---

[1]البحار 99 : 35 ، عن العيون 2 : 259.

السرّ العاشر ـ استجابة الدعاء

الدعاء مخ العبادة وحقيقتها ، وما يعبأ الله بعبده لولا دعاؤه ، والذين يستكبرون عن عبادة الله ، أي لا يدعونه ، لا ينالون الرحمة الإلهيّة ، فالدعاء سلاح المؤمن وصلاحه وفلاحه ، وإنّما يستجيب الله الدعاء لو اجتمعت شرائطه [1] ، وممّا يوجب استجابة الدعاء ، ويكون العبد مستجاب الدعوة ، وهذه أُمنية كلّ عبد صالح ورع متّقي ، زيارة مولانا الإمام الرضا (عليه السلام) ، فإنّها لو قبلت تكون من الأكسير الأعظم في تحقّق الدعاء واستجابته وقضاء الحوائج.

عن ياسر الخادم قال : قال الرضا (عليه السلام) :

لا تشدّ الرحال إلى شيء من القبور إلاّ إلى قبورنا ، ألا وإنّي مقتول بالسمّ ظلماً ، ومدفون في موضع غربة ، فمن شدّ رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه وغفر له ذنبه[2].

وقد ورد في الروايات أنّ من يستجاب دعاؤه فقد وصل إلى مقام الرضا والتسليم ، وهو من المقامات العرفانية في السير والسلوك كما عند أهل المعرفة ، فتدبّر ، ولا يخفى لطفه.

العيون بسنده عن الصقر بن دلف قال : سمعت سيّدي علي بن محمّد بن علي الرضا (عليهم السلام) يقول :

من كانت له إلى الله عزّ وجلّ حاجة ، فليزر قبر جدّي الرضا (عليه السلام) بطوس ، وهو على غسل وليصلّ عند رأسه ركعتين وليسأل الله تعالى حاجته في قنوته ، فإنّه يستجيب له ، ما لم يسأل في مأثم أو قطيعة رحم ، فإنّ موضع قبره لبقعة من بقاع الجنّة ، لا يزورها مؤمن إلاّ أعتقه الله تعالى من النار ، وأدخله دار القرار[3].

---

[1]راجع في ذلك كتاب (عدّة الداعي) للشيخ المحقّق ابن فهد الحلي (قدس سره).

[2]البحار 99 : 36 ، عن العيون 2 : 254 ، والخصال 1 : 94.

[3]البحار 99 : 49 ، عن العيون 2 : 262.

السرّ الحادي عشر ـ الخلاص من أهوال يوم القيامة

لا ندري مدى خطورة المواقف في عالم البرزخ وما بعده من أهوال القبر ، وأ نّه إمّا : روضة من رياض الجنّة ، وإمّا : حفرة من حفر النيران ، والعقبات الخطرة التي تذهل المرضعة عمّا أرضعت ، وتشيب المرء يوم القيامة والمحشر ؟ فلا ندري ذلك إلاّ ما جاء في الآيات القرآنية والروايات الشريفة ، ممّا يمنع المرء من الرقاد لو تمثّلت في أعماق وجوده ، ووجدها في نفسه وقلبه ، لا مجرّد العلم بها.

فكلّ واحد عندما يقرء ويسمع تلك الأهوال يقشعر جلده ويستولي عليه الخوف ، ويبحث عمّا يخلّصه من أهوال يوم القيامة وعالم البرزخ ، وزيارة مولانا الإمام الرضا (عليه السلام) من العوامل المضمونة للخلاص من أهوال الآخرة ، كما توجب الخلاص من أهوال الدنيا ومشاكلها ومصاعبها بالأولوية ، فتدبّر فإذا كان الإمام له قدرة الخلاص من تلك الأهوال الخطيرة بشفاعته ، كيف لا تظهر الكرامات على يديه الشريفة ، وعند قبره الطاهر ، وحين التوسّل به من شفاء المرضى وقضاء حوائج الناس ؟

أمالي الصدوق بسنده عن حمدان الديواني ، قال : قال الرضا (عليه السلام) :

من زارني على بُعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاث مواطن حتّى اُخلّصه من أهوالها : إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالا ، وعند الصراط ، وعند الميزان.

كامل الزيارات بسنده عن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي ، قال : قال أبو الحسن الرضا (عليه السلام) :

من زارني على بُعد داري وشطون مزاري ، أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتّى اُخلّصه من أهوالها : إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالا ، وعند الصراط ، وعند الميزان.

قال سعد : وسمعته بعد ذلك من صالح بن محمّد الهمداني[1].

فما أعظم الزيارة وشأنها ؟ !

[1]البحار 99 : 40 ، عن كامل الزيارات : 304.

السرّ الثاني عشر ـ تحريم الجسد على النار ودخول الجنّة

كلّ واحد من الناس منذ نعومة أظفاره . ومعرفته الحياة يطلب السعادة ويفرّ من الشقاء ، وهذا من الاُمور الوجدانية ، وحقيقة السعادة في المنطق القرآني والإلهي هو دخول الجنّة كما في قوله تعالى :

(وَأَمَّا الَّذِينَ سعدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا)[1].

فمن يدخل الجنّة في نهاية مسيرة حياته في الدنيا والآخرة يعني أ نّه أدرك سعادة الدارين[2].

وهناك أسباب وعوامل وعلائم توجب دخول الجنّة وتحريم الجسد على النار ، يعني درك السعادة الأبدية ، ومن أهمّها وأقواها ضماناً : زيارة مولانا الإمام الرضا (عليه السلام).

عيون أخبار الرضا بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

ستدفن بضعة منّي بأرض خراسان ، لا يزورها مؤمن إلاّ أوجب الله عزّ وجلّ له الجنّة ، وحرّم جسده على النّار[3].

يرجى الانتباه : الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) عبّر عن نفرين من أولاده بالبضعة وأ نّهما قطعة من جسده الشريف ، لقد وسم مولاتنا فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين (عليها السلام) بهذا الوسام العظيم ، بأ نّها بضعة من رسول الله في قوله (صلى الله عليه وآله) : فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني ومن سرّها فقد سرَّني . متفق عليه عند الفريقين . كما عبّر عن الإمام الرضا (عليه السلام) بأ نّه : ستدفن بضعة منّي بأرض خراسان ، وهذا يدلّ على أمر يعرفه الخواصّ ، فتأمّل.

عن عبد العظيم الحسني قال : سمعت أبا جعفر الثاني (عليه السلام) يقول :

ما زار أبي (عليه السلام) أحد فأصابه أذى من مطر أو برد أو حرّ ، إلاّ حرّم الله جسده على النار[4].

عن أبي جعفر(عليه السلام) قال :

حُتمت لمن زار أبي (عليه السلام) بطوس عارفاً بحقّه ، الجنّة على الله تعالى[5].

عن ابن اسباط قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) : ما لمن زار والدك بخراسان ؟ قال :

الجنّة والله ، الجنّة والله.

عن عبد العظيم الحسني قال : سمعت علي بن محمد العسكري (عليه السلام) يقول :

أهل قم وأهل آبة ، المغفور لهم لزيارتهم لجدّي علي بن موسى الرضا (عليه السلام)بطوس ، ألا ومن زاره فأصابه في طريقه قطرة من السماء حرّم الله جسده على النار.

عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال :

من زار ابني هذا . وأومأ بيده إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) . فله الجنّة[6].

ومن كان من أهل الجنّة فهو السعيد حقّاً ، فزائر الإمام (عليه السلام) هو السعيد ، والزيارة من السعادة . ومن زحزح عن النار وأُدخل الجنّة فقد فاز فوزاً عظيماً.

---

[1]هود : 108.

[2]لقد ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (السعيد والسعادة بين القدماء والمتأخّرين) ، وهو مطبوع ، فراجع.

[3]البحار 99 : 31.

[4]البحار 99 : 31 ، عن أمالي الصدوق : 654.

[5]المصدر ، عن العيون 2 : 256.

[6]المصدر : 41 ، عن كامل الزيارات : 306.

السرّ الثالث عشر ـ الحشر مع الإمام (عليه السلام)

قالت الحكماء : السنخيّة علّة الانضمام ، وهذا يعني أنّ الشيء إنّما ينضمّ إلى شيء آخر لو كان بينهما السنخيّة ، ومن ثمّ يلزم ذلك في قانون العلّة والمعلول ، فلولا السنخية بين الحرارة والنار لما كانت الحرارة معلول النار كما يقال ، فلا بدّ من سنخية بينهما وإلاّ للزم اختلال النظام وصدور كلّ شيء من كلّ شيء وهذا أمر محال ، كما يقال في الأمثال : الطير مع الطير يطير والجنس مع الجنس يميل ، وفي الحديث الشريف :

الأرواح جنود مجنّدة . في عالم الميثاق والذر . ما ائْتلفت ائتَلَفت ، وما اختُلفت اختَلَفت.

فليس كلّ واحد يتوفّق أن يكون مع إمامه الحق ، بل لا بدّ من سنخيّة ، ولا بدّ من مؤهّلات وتوفيقات ربّانية وإنسانية خاصّة في نطاق الاختيار من دون جبر وتفويض ، بل أمر بين الأمرين[1].

وممّا يوجب السنخيّة والمعيّة مع الإمام المعصوم (عليه السلام) وأن يكون المأموم في خطّ إمام زمانه ، وإن كان هو بحكم القطرة الواحدة ، وإمامه بحكم البحر ، بل ولا قياس بينهما ، كما لا يقاس بهم أحد ، إلاّ أنّ الفحم الأسود لو جاور الزعفران برهة من الزمان فإنّه يكسب من رائحته وعطره ، ويشمّ من الفحم عطر الزعفران ، وكذلك الإنسان فإنّه وإن اسودّ قلبه بالذنوب والمعاصي والآثام والمنكرات والقبائح ما ظهر منها وما بطن ، ولو بلغت وزر الثقلين من الجن والإنس ، إلاّ أ نّه بزيارته لإمامه المعصوم (عليه السلام) واتّصاله بالبحر الطاهر المطهّر يكسب من فيض قدسه وعطره الإلهي ، وذلك من أسرار الولاية العظمى ، فالزيارة من أسباب الانضمام ، وكسب الروائح الطيّبة من خلال الجوار والحضور.

عن مولانا الإمام الرضا (عليه السلام) في خبر دعبل ، قال (عليه السلام) :

لا تنقضي الأيام والليالي حتّى تصير طوس مختلف شيعتي وزوّاري ، ألا فمن زارني في غربتي بطوس ، كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له[2].

[1]ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (الحقّ والحقيقة بين الجبر والتفويض) ، وهو مطبوع ، فراجع.

[2]البحار 99 : 39 ، عن العيون 2 : 264.

السرّ الرابع عشر - زوّار الإمام الرضا (عليه السلام) وفود الله وضيوفه

إنّ لله سبحانه وتعالى ضيوفاً ووفوداً ، وإنّ له مأدبة وضيافة يستضيف عليها من عباده من كان مؤمناً وتقيّاً ، وإنّ ضيافته تارة عامة وأُخرى خاصّة.

والأُولى تعمّ جميع المكلّفين كما في صيام شهر رمضان المبارك ، فكل مكلّف يدعوه الله إلى ضيافته ، ليكون الصائم ضيفاً على ربّه ، فالصائمون ضيوف الله وعلى مائدته القرآنية يتلذّذون بنعمه الرحمانية وآلائه الرحيمية ، من كسب العلوم الربّانية والمعارف القدسية والفيوضات الإلهية ، فالله سبحانه من لطفه وحبّه لعباده وأوليائه المؤمنين بدينه يدعوهم إليه ليكونوا ضيوفاً عليه ، ومن سعادة العبد العظمى أن يكون ضيفاً على مولاه ، المولى المستجمع لجميع صفات الجمال والكمال بلا نهاية ، فما أعظم الضيافة الإلهية ، وأنّ مائدته مائدة الكمالات والفيوضات والرحمات العامة والخاصة ، فعلى مائدة الله سبحانه العلوم والمعارف ، ولذّة المناجاة مع ربّ الأرباب ، وما أروع تلك الضيافة والوفادة على الله الكريم :

وفدت على الكريم بغير زاد *** من الحسنات والقلب السليم

فحمل الزاد أقبح كلّ شيء *** إذا كان الوفود على الكريم

فالله سبحانه دعا عباده في الدنيا والآخرة ليكونوا وفوده وضيوفه ، فمن ضيافته العامة لجميع المكلّفين والمكلّفات صيام شهر رمضان المبارك ، وعلى مائدة كتابه الكريم . ولكل شيء ربيع ، وربيع القرآن شهر رمضان . إذا راعى آداب الضيافة وشملته الرحمة الرحيمية الخاصة ، فإنّه يدعى في ليلة القدر إلى ضيافة خاصة ليكون وفداً على الله سبحانه في بيته الحرام ، ليطوف حوله مبتهجاً بذكره وحبّه وشوقه . فالحجاج الكرام ضيوف الرحمن ، دعاهم الله عزّ وجلّ إلى ضيافته في ليلة القدر ، فسجّل لهم صكّ الحج . كما في روايات ليلة القدر [1] . .

ولا يخفى أنّ الضيافة الإلهية تعني الضيافة المعنوية والروحية ، وأ نّها ضيافة الأسماء الحسنى والصفات العليا ، لا يقف عليها إلاّ الخواص ، ولا أتعرّض لها خوفاً على العامة ومن أرادها فليطلبها من مضانّها ومن أهلها ، ولا يلقّاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم.

أُحبّ الصالحين ولست منهم *** لعلّ الله يرزقني صلاحاً

ومن الضيافة الخاصّة زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) وأنّ زوّاره ضيوف الله ، وبنظري هذه الضيافة أخصّ من الضيافة الخاصة وأ نّها تعدل ألف ألف حجّة مبرورة وعمرة مقبولة ، فزوّاره الكرام أكرم وفود الله يوم القيامة ، فيكرمهم بما لم يخطر على قلب بشر ، وإنّه أكرم الأكرمين.

ولا يخفى أنّ بعض الضيوف أكرم من بعض ، كما عند الناس ، فكذلك عند الله سبحانه فـ (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) [2] ، ومن التقوى ولاية الأئمة الأطهار (عليهم السلام) المتمثّلة بولاية الإمام الرضا (عليه السلام) ، ومن مظاهرها الزيارة ، فزائره من أكرم وفود الله يوم القيامة ، وإليك الحديث الشريف الدالّ على ذلك :

عن الهروي قال : سمعت الرضا (عليه السلام) يقول :

إنّي سأُقتل بالسم مسموماً ومظلوماً ، وأُقبر إلى جنب هارون ، ويجعل الله عزّ وجلّ تربتي مختلف شيعتي وأهل بيتي ، فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة ، والذي أكرم محمّداً (صلى الله عليه وآله) بالنبوّة واصطفاه على جميع الخليقة ، لا يصلّي أحد منكم عند قبري ركعتين إلاّ استحقّ المغفرة من الله يوم يلقاه ، والذي أكرمنا بعد محمّد (صلى الله عليه وآله) بالإمامة وخصّنا بالوصية ، إنّ زوّار قبري لأكرم الوفود على الله يوم القيامة ، وما من مؤمن يزورني فتصيب وجهه قطرة من السماء ، إلاّ حرّم الله عزّ وجلّ جسده على النار[3].

---

[1]ذكرت ذلك في كتاب (فاطمة الزهراء (عليها السلام) ليلة القدر) ، مطبوع ، فراجع.

[2]الحجرات : 13.

[3]البحار 99 : 36 ، عن العيون 2 : 256.

السرّ الخامس عشر ـ زيارة الله في عرشه

نعتقد بأنّ الله سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته ، مستجمع جميع الصفات الكمالية والجمالية ، وإنّ من صفاته الجلالية أ نّه ليس بجسم ولا جسماني ، وليس كمثله شيء ، وليس كما يقوله الوهابية وآل سعود أ نّه جسم كما يليق بذاته لا كالأجسام التي نراها . كما حدّثني بذلك بعض مشايخهم في المدينة المنوّرة . فإنّه عزّ وجلّ منزّه عن ذلك كلّه ; للزومه التركيب والاحتياج ، وأ نّه هو الغني بالذات.

ثمّ سبحانه وتعالى يتجلّى في الإنسان الكامل بصفاته العليا وأسماءه الحسنى ، لا بذاته لتجرّده . والإنسان الكامل الذي هو أشرف المخلوقات إنّما هو : سيّد المرسلين وخاتم النبيين محمّد (صلى الله عليه وآله) ، ولولاه لما خلق الله الأفلاك ، فهو سرّ الوجود وغايته ، وهو جامع الجمع ، ومن بعده : سيّد الوصيين وإمام المتّقين علي (عليه السلام) ، فقد اشتقّ نوره من نوره ، كما اشتقّ نور النبيّ من نور الله جلّ جلاله ، ثمّ : الأئمة الأبرار والأنبياء الأطهار ، ثمّ : العلماء الصلحاء الأخيار ، الأمثل فالأمثل ، فإنّ العلماء ورثة الأنبياء.

فزيارة الله في عرشه كإطاعته وبيعته ، فمن يبايع النبي الإنسان الكامل ، فإنّه يبايع الله سبحانه ، ومن يطع الرسول فقد أطاع ربّه جلّ جلاله ، وزيارته زيارة نبيّه وأولياءه ، كما يدلّ على ذلك ما جاء في الروايات الشريفة[1].

عن الهروي قال : قلت للرضا (عليه السلام) : يا ابن رسول الله ، ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث : إنّ المؤمنين يزورون ربّهم من منازلهم في الجنّة ؟ فقال (عليه السلام) :

يا أبا الصلت ، إنّ الله تبارك وتعالى فضّل نبيّه محمّداً (صلى الله عليه وآله) على جميع خلقه من النبيّين والملائكة ، وجعل طاعته طاعته ، ومبايعته مبايعته ، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته ، فقال الله عزّ وجلّ : (وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ) [2] ، وقال : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)[3] ، وقال النبي (صلى الله عليه وآله) : إنّ الذي زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله تعالى ، ودرجة النبي (صلى الله عليه وآله)

في الجنّة أرفع الدرجات ، فمن زاره في درجته في الجنّة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى[4].

وبمثل هذه الأحاديث الشريفة نعرف عظمة الأئمة الأطهار ، وأ نّهم القدوة الصالحة والأُسوة الحسنة ، وأ نّهم أئمة يهدون إلى الحق :

(أفَمَنْ يَهْدِي إلى الحَقِّ أحَقُّ أنْ يُتَّبَعَ أمْ مَنْ لا يَهْدِّي إلاّ أنْ يُهْدى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)[5] ؟

إنّهم معادن الحكمة والمعرفة ومهبط الوحي والرسالة ، في بيوتهم نزل الكتاب ، وعندهم فصل الخطاب ، ولولاهم لما عُرف الله ولما عُبد ، فهم باب الله الذي منه يؤتى ، وباب الله الذي إليه يتوجّه الأولياء ، والسبب المتّصل بين الأرض والسماء ، وحبل الله القويم وصراطه المستقيم ، وكيف لا تكون زيارتهم زيارة الله في عرشه ؟

أمالي الصدوق والعيون بسندهما عن سليمان بن حفص قال : سمعت موسى بن جعفر (عليه السلام) يقول :

من زار قبر ولدي علي كان له عند الله عزّ وجلّ سبعون حجّة مبرورة.

قلت : سبعين حجّة مبرورة ؟

قال : نعم سبعين ألف حجّة.

قلت : سبعين ألف حجّة ؟

قال : فقال : ربّ حجّة لا تقبل ، من زاره أو بات عنده ليلة ، كان كمن زار الله في عرشه.

قلت : كمن زار الله في عرشه ؟

قال : نعم ، إذا كان يوم القيامة كان على عرش الله عزّ وجلّ أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين ، فأ مّا الأوّلون فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وأمّا الأربعة الآخرون فمحمّد وعلي والحسن والحسين ، ثمّ يمدّ المطمر فيقعد معنا زوّار قبور الأئمة ، إلاّ أن أعلاها درجة وأقربهم حبوة زوّار قبر ولدي علي (عليه السلام)[6].

قال شيخنا الأجلّ العلاّمة المجلسي في بيانه : المطمر خيط للبناء ، يقدّر به ، ويؤيّده ما مرّ سابقاً ، ولعلّ مدّه ليدخل فيه من كان من أوليائهم ويخرج عنه مخالفوهم ، وفي بعض نسخ الكافي : ثمّ يمدّ الطعام.

والحبوة : العطية ، والحبوة أيضاً : الاحتباء بالثوب بأن يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، وهنا يحتمل المعنيين[7].

فمن يزور الإمام (عليه السلام) يزور الله في عرشه ويكون على مائدة الأسماء الحسنى والصفات العليا.

---

[1]لقد ذكرت تفصيل ذلك في (الإمام الحسين (عليه السلام) في عرش الله).

[2]النساء : 80 .

[3]الفتح : 10.

[4]البحار 97 : 140 ، عن العيون 1 : 115.

[5]يونس : 35.

[6]البحار 99 : 35 ، عن العيون 2 : 295 ، والأمالي : 120 ، وكامل الزيارات : 307.

[7]البحار 99 : 42.

الخاتمة ـ من أهمّ آثار زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) الواردة في الأخبار

وفي الختام نشير إلى ما ورد في الأخبار من الآثار ، فمن زاره (عليه السلام) عارفاً بحقّه مقرّاً بإمامته ، مطيعاً ومسلّماً لأمره ، خالصاً في عمله ، متّقياً في سلوكه ، سليماً في عقائده ، مواظباً على حركاته وسكناته ، كما يحبّ الله ورسوله وأهل بيته :

1 . أوجب الله عزّ وجلّ له الجنّة . حُتِّمت لمن زاره عارفاً بحقّه على الله تعالى.

2 . حرّم جسده على النار.

3 . كمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله).

4 . كتب الله تبارك وتعالى له بذلك ألف حجّة مبرورة.

5 . ألف عمرة مقبولة.

6 . كنت أنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة . تشفّعت فيه يوم القيامة.

7 . كتب الله عزّ وجلّ له أجر مائة ألف شهيد.

8 . ومائة ألف صدِّيق.

9 . ومائة ألف حاج ومعتمر.

10 . ومائة ألف مجاهد.

11 . حشر في زمرتنا.

12 . جعل في الدرجات العلى من الجنة رفيقنا.

13 . نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجن والانس.

14 . ألف ألف حجّة لمن زاره عارفاً بحقّه.

15 . أعطاه الله عزّ وجلّ أجر من أنفق قبل الفتح وقاتل.

16 . نفّس الله كربته.

17 . غفر الله ذنوبه . ما تقدّم منها وما تأخّر ولو كانت مثل عدد النجوم وقطر الأمطار وورق الأشجار . ولو كان عليه وزر الثقلين.

18 . نصب له منبر بحذاء منبر رسول الله حتّى يفرغ الله من حساب عباده.

19 . يُخلّص من أهوال يوم القيامة في ثلاث مواطن : إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالا ، وعند الصراط ، وعند الميزان.

20 . سبعون حجّة مقبولة . سبعمئة حجّة . سبعين ألف حجّة مقبولة.

21 . من بات عنده ليلة كان كمن زار الله في عرشه.

22 . يقعد مع الائمة في عرش الله.

23 . أعلاها درجة وأقربهم حبوة زوّار قبر الإمام الرضا (عليه السلام).

24 . يأخذه الإمام الصادق (عليه السلام) بيده يوم القيامة ويدخله الجنّة وإن كان من أهل الكبائر.

25 . أعطاه الله عزّ وجلّ أجر سبعين شهيداً ، ممّن استشهد بين يدي رسول الله على حقيقة.

26 . ما أصابه أذى من مطر أو برد أو حرّ ، إلاّ حرّم الله جسده على النار . قطرة من السماء حرّم الله جسده على النار.

27 . أُستجيب دعاؤه.

28 . وجب له غفران الله.

29 . ورحمته بشفاعة أهل البيت.

30 . وجبت له زيارة الإمام الرضا أي يعود له الزيارة يوم القيامة.

31 . لا يصلّي ركعتين عند قبره إلاّ استحق المغفرة من الله عزّ وجلّ يوم يلقاه.

32 . أكرم الوفود على الله يوم القيامة.

33 . بين جبلي طوس قبضة قبضت من الجنّة من دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار.

34 . أفضل من زيارة الإمام الحسين (عليه السلام).

35 . كان مع الإمام الرضا في درجته يوم القيامة مغفوراً له.

36 . من زاره مسلماً لأمره عارفاً بحقّه كان عند الله عزّ وجلّ كشهداء بدر.

37 . لا يزورها . البقعة الرضوية . مؤمن إلاّ أعتقه الله تعالى من النار.

38 . أدخله دار القرار . وهي طبقة من طبقات الجنّة.

39 . خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه.

40 . قُضي حوائجه . قضيت حاجته.

41 . قبره وحرمه الشريف روضة من رياض الجنّة . بقعة من بقاع الجنّة.

هذه بعض الآثار الدنيوية والأُخروية في زيارة مولانا ثامن الحجج الإمام الرضا علي بن موسى (عليهما السلام).

ويقول شيخنا الأجلّ العلاّمة المجلسي في بحاره العظيم في نهاية الباب الرابع من كتاب المزار[1] :

قد مضى بعض أخبار فضل زيارته (عليه السلام) في أبواب فضل زيارة الحسين (عليه السلام)
وسيأتي بعضها في الباب الآتي ، ثمّ اعلم أنّ زيارته (عليه السلام) في الأيام الفاضلة والأوقات الشريفة أفضل لا سيّما الأيام التي لها اختصاص به (عليه السلام) كيوم ولادته وهو حادي عشر ذي القعدة ، ويوم وفاته وهو آخر شهر صفر أو السابع عشر منه أو الرابع والعشرون من شهر رمضان ، ويوم بويع بالخلافة وهو أوّل شهر رمضان أو السادس منه.

وقال السيّد ابن طاووس في كتاب الإقبال : روى أ نّه يصلّى يوم السادس من شهر رمضان ركعتان كلّ ركعة بالحمد مرّة وبسورة الإخلاص خمساً وعشرين مرّة لأجل ما ظهر من حقوق مولانا الرضا (عليه السلام) فيه.

أقول : فيناسب إيقاع هذه الصلاة في روضته المقدّسة بعد زيارته (عليه السلام).

ورأيت في بعض مؤلّفات أصحابنا قال : ذكر في كتاب فصل الخطاب عن الرضا (عليه السلام) أ نّه قال :

من شدّ رحله إلى زيارتي اُستجيب دعاؤه وغفرت له ذنوبه ، فمن زارني في تلك البقعة كان كمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكتب الله له ثواب ألف حجّة مبرورة وألف عمرة مقبولة ، وكنت أنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة ، وهذه البقعة روضة من رياض الجنّة ، ومختلف الملائكة ، لا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أن ينفخ في الصور[2].

هذا غيض من فيض أسرار زيارة مولانا وإمامنا ثامن الحجج ، شمس الشموس المدفون بأرض طوس الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام).

ولا يخفى أنّ للزيارة آداب وشرائط جمّة مع رعايتها يرجى القبول والتقرّب والحصول على الآثار والأسرار ، وأتبرّك بما ذكره الشهيد الأوّل (قدس سره) في الدروس من آداب الزيارة قال : للزيارة آداب :

أحدها : الغسل قبل دخول المشهد والكون على الطهارة ، فلو أحدث أعاد الغسل قاله المفيد (رحمه الله) ، وإتيانه بخضوع وخشوع في ثياب طاهرة نظيفة جدد.

ثانيها : الوقوف على بابه والدعاء والاستيذان بالمأثور ، فإن وجد خشوعاً ورقّة دخل ، وإلاّ فالأفضل له تحرّي زمان الرقّة ، لأنّ الغرض الأهمّ حضور القلب ليلقى الرحمة النازلة من الربّ ، فإذا دخل قدّم رجله اليمنى وإذا خرج فباليسرى.

ثالثها : الوقوف على الضريح ملاصقاً له أو غير ملاصق ، وتوهّمٌ أنّ البعد أدب واحترام ، فقد نصّ على الاتّكاء على الضريح وتقبيله.

رابعها : استقبال وجه المزور واستدبار القبلة حال الزيارة ، ثمّ يضع عليه خدّه الأيمن عند الفراغ من الزيارة ويدعو متضرّعاً ، ثمّ يضع خدّه الأيسر ويدعو سائلا من الله تعالى بحقّه وحقّ صاحب القبر أن يجعله من أهل شفاعته ، ويبالغ في الدعاء والإلحاح ، ثمّ ينصرف إلى ما يلي الرأس ، ثمّ يستقبل القبلة ويدعو.

خامسها : الزيارة بالمأثور ويكفي السلام والحضور.

سادسها : صلاة ركعتين للزيارة عند الفراغ ، فإن كان زائراً للنبي (صلى الله عليه وآله) ففي الروضة وإن كان لأحد الأئمة صلّى الله عليهم فعند الرأس ، ولو صلاّهما بمسجد المكان جاز.

سابعها : الدعاء بعد الركعتين بما نقل وإلاّ فبما سنح له في اُمور دينه ودنياه ، وليعمّم الدعاء فإنّه أقرب إلى الإجابة.

ثامنها : تلاوة شيء من القرآن عند الضريح ، وإهداؤه إلى المزور والمنتفع بذلك الزائر ، وفيه تعظيم للمزور.

تاسعها : إحضار القلب في جميع أحواله مهما استطاع ، والتوبة من الذنب والاستغفار والإقلاع.

عاشرها : التصدّق على السدنة والحفظة للمشهد بإكرامهم وإعظامهم ، فإنّ فيه إكرام صاحب المشهد (عليه السلام) ، وينبغي لهؤلاء أن يكونوا من أهل الخير والصلاح والدين والمروّة والاحتمال والصبر وكظم الغيظ ، خالين من الغلظة على الزائرين ، قائمين بحوائج المحتاجين ، مرشدي ضالّ الغرباء والواردين ، وليتعهد أحوالهم الناظر فيه ، فإن وجد من أحد منهم تقصيراً نبّهه عليه ، فإن أصرّ زجره ، فإن كان من المحرّم جاز ردعه بالضرب إن لم يجدِ التعنيف من باب النهي عن المنكر.

حادي عشرها : أ نّه إذا انصرف من الزيارة إلى منزله ، استحبّ له العود إليها ما دام مقيماً ، فإذا حان الخروج ودّع وداعاً بالمأثور ، وسأل الله تعالى العود إليه.

ثاني عشرها : أن يكون الزائر بعد الزيارة خيراً منه قبلها ، فإنّها تحطّ الأوزار إذا صادفت القبول.

ثالث عشرها : تعجيل الخروج عند قضاء الوطر من الزيارة لتعظم الحرمة ويشتدّ الشوق ، وروى أنّ الخارج يمشي القهقرى حتّى يتوارى.

رابع عشرها : الصدقة على المحاويج بتلك البقعة ، فإنّ الصدقة مضاعفة هنالك وخصوصاً على الذرية الطاهرة كما تقدّم بالمدينة.

ويستحبّ الزيارة في المواسم المشهورة قصداً ، وقصد الإمام الرضا (عليه السلام) في رجب ، فإنّه من أفضل الأعمال.

ولا كراهة في تقبيل الضرايح ، بل هو سنّة عندنا ، ولو كان هناك تقيّة . كما في عصرنا في السعودية مع الوهابية المتحجّرين . فتركه أولى.

وأمّا تقبيل الأعتاب فلم نقف فيه على نصّ نعتدّ به ، ولكن عليه الإمامية ، ولو سجد الزائر ونوى بالسجدة الشكر لله تعالى على بلوغه تلك البقعة كان أولى ، وإذا أدرك الجمعة ، فلا يخرج قبل الصلاة.

ومن دخل المشهد والإمام يصلّي بدأ بالصلاة قبل الزيارة ، وكذلك لو كان قد حضر وقتها ، وإلاّ فالبدأة بالزيارة أولى لأ نّها غاية مقصده ، ولو أُقيمت الصلاة استحبّ للزائرين قطع الزيارة والإقبال على الصلاة ، ويكره تركه ، وعلى الناظر أمرهم بذلك ، وإذا أزار النساء فليكن منفردات عن الرجال ، ولو كان ليلا فهو أولى ، وليكن متنكّرات مستترات ، ولو زرن بين الرجال جاز ، وإن كره ، وينبغي مع كثرة الزائرين أن يخفّف السابقون إلى الضريح الزيارة ، وينصرفوا ليحضر من بعدهم فيفوزوا من القرب إلى الضريح بما فاز أُولئك.

ويستحبّ لمن حضر مزاراً أن يزور عن والديه وأحبّائه وعن جميع المؤمنين فيقول : (السلام عليك يا مولاي من فلان بن فلان ، أتيتك زائراً عنه ، فاشفع له عند ربّك) . وتدعو له . ولو قال : (السلام عليك يا نبي الله من أبي وأُمّي وزوجتي وولدي وحامّتي وجميع إخواني من المؤمنين) ، أجزأ وجاز له أن يقول لكل واحد : قد أقرأت رسول الله عنك السلام ، وكذا باقي الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) . انتهى كلامه رفع الله مقامه[3].

يقول شيخنا الأجلّ العلاّمة المجلسي (قدس سره) : وجدت بخطّ الشيخ حسين بن عبد الصمد (رحمه الله) ما هذا لفظه : ذكر الشيخ أبو الطيّب الحسين بن أحمد الفقيه : من زار الرضا (عليه السلام) أو واحداً من الأئمة (عليهم السلام) فصلّى عنده صلاة جعفر ، فإنّه يكتب له بكلّ ركعة ثواب من حجّ ألف حجّة واعتمر ألف عمرة ، وأعتق ألف رقبة ، ووقف ألف وقفة في سبيل الله مع نبيّ مرسل ، وله بكلّ خطوة ثواب مئة حجّة ومئة عمرة وعتق مئة رقبة في سبيل الله ، وكتب له مئة حسنة ، وحطّ منه مئة سيّئة.

وهذا كلّه من فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله على كلّ شيء قدير.

يا قبر طوس سقاك الله رحمته *** ماذا ضمنت من الخيرات يا طوس

طابت بقاعك في الدنيا وطاب بها *** شخص ثوى بسناباد مرموس

شخص عزيز على الإسلام مصرعه *** في رحمة الله مغمور ومغموس

يا قبره أنت قبر قد تضمّنه *** حلم وعلم وتطهير وتقديس

فخراً بأ نّك مغبوط بحثته *** وبالملائكة الأطهار محروس[4]

السلام عليك يا ولي الله وابن أوليائه ، السلام عليك يا حجّة الله وابن حججه وأبا حججه ، السلام عليك يا نور الله في ظلمات الأرض ، السلام عليك يا عمود الدين ، السلام عليك يا وارث الأنبياء والمرسلين ، السلام عليك يا وارث خاتم النبيين ، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين ، السلام عليك أ يّها الشهيد السعيد المظلوم المقتول ، السلام عليك أ يّها الصدّيق الوصي البارّ الأمين ، أشهد أ نّك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وعبدت الله مخلصاً حتّى أتاك اليقين . السلام عليك يا مولاي وابن مولاي أبا الحسن الرضا ورحمة الله وبركاته إنّه حميد مجيد ، لعن الله أُمّةً قتلتك ، ولعن الله أُمّةً ظلمتك وأسّست أساس الظلم والجور والبدعة عليكم أهل البيت . عليكم سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ، طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم ، رزقنا الله في الدنيا زيارتكم ، وفي الآخرة شفاعتكم ، وحشرنا في زمرتكم ، وأماتنا على ولايتكم والبراءة من أعدائكم ، ورزقنا الشهادة في سبيلكم ، وجعل محيانا محياكم ومماتنا مماتكم ، وخلّقنا بأخلاقكم وأدّبنا بآدابكم ، فمعكم معكم ، آمين ، آمين ، لا أرضى بواحدة حتّى يضاف إليه ألف آميناً، ورحم الله عبداً قال : آمينا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

[1]بحار الأنوار 99 : 43.

[2]البحار 99 : 44.

[3]بحارالأنوار 97 : 136 ، عن الدروس : 158.

[4]المصدر : 54.